الفصل الخامس

من عقبات الدعوة

ومن هذه العقبات :

١ ـ ما يكون فى نفس الداعى من مثل : مصلحة شخصية ، سوء الخلق ، البخل ، الغرور .

وإما أن تكون فى نفس المدعو :

١ ـ الطمع .

٢ ـ التقليد .

٣ ـ رواسب قديمة فى عقله وقلبه.

٤ ـ الحسد .

٥ ـ الهوى .

٦ ـ محاولات المضلين .

٧ ـ عدم توافر الاتصال بينه وبين الداعى .

تمهيد :

يقول الخبراء : قبل أن يُسقط التتار بغداد ، كانت بغداد بلا أخلاق وقبل أن يسقط الصليبيون الأندلس كانت الأندلس بلا أخلاق ولم ترث إيمان طارق بن زياد.. كل ذلك مهد لدخول الأجانب بلادنا .. يضاف إلى ذلك :

قلة معرفتنا بأحوال الأمم حولنا .. وهم الذين عرفونا (بالمستشرقين) مع أننا أصحاب الدعوة العالمية .

ولم نفد من التقدم العلمى .. بينما اصطلح اليهود وغيرهم مع العلم الحديث

obeikandl.com

واحتلوا أرضنا .. أى أنهم أفادوا من نهضتنا يوم أن احتكوا بنا فى الحروب الصليبية ، وعن طريق فرنسا المتاخمة للأندلس لكننا لم ننتفع به !

قال عالم منا : تعلم اللغة الأجنبية يجوز للضرورة .. وكان الأصل عدم معرفتها ؟!

وكيف .. وبينا مرسل لكل الناس ولغاتهم شتى ؟!

وقد أحسنت المذاهب الأرضية التفاهم مع الناس .. فسادت ..

١١ ـ وإذن فنحن المسئولون أولا قبل الزحف الخارجى فلنعد إلى الله أولا .. بحيث لا يتمكن العدو من رقابنا .. وهذا بيت القصيد .

إن المعكسر الرأسمالى : له شخصيته بسماته والشيوعى كذلك .

أما المعسكر الإسلامى .. فأين شخصيته ؟ فيه شركاء متشاكون !!

لم يعرف المسلم عالمه المعاصر .. ولم يثق بتراثه تمامًا .. فكان جاهلا مرتين !! وأصبحت جهوده فقط : كلمة فى كتاب .. هتاف فى خطاب .. تسبيحة فى محراب ... لهم شخصية مزدوجة :

التاجر يسلم التبرّع لبناء مسجد فى وداعة الحمل ! ثم لا يتورع عن الربح الحرام ، ولا عن طريق ترويج المنكرات التى يستوردها من الخارج .. كما استورد شخصيته تلك أيضًا من الخارج .. والرافضة تبنى مسجداً .. ثم تفسد الساجدين .

ما هى الشخصية المسلمة :

﴿ وَرَجُلاً سَلَمًا ﴾ [الزمر:٢٩] شخصية واحدة .. تاجر .. مدرس .. ليكن إنما ليظل وفيًا لمبدئه .. نشطة فى السوق .. عابدة فى المسجد .. مجاهدة فى الساحة ، تحثها على الوعظ .. وعلى الصناعة أيضًا .

مع إقبال :

إذا نسيت نفسك .. فكيف تبحث لك عن محب ؟

إذا لم تعرف الإنسان .. فكيف تعرف خالقه ؟

ومن معوقات الدعوة

أ ـ فى طليعة هذه المعوقات : التقليد .

ب ـ شبهات المغرضين :

ومنهم تلك الباحثة الغربية .. والتى تزعم أن النعيم فى الإسلام نعيم حسٌى مادى ..

بينما الأمر فى المسيحية على عكس ذلك تمامًا .. فالناس فى المسيحية يتحولون إلى ملائكة فى الملكوت الأعظم .

• • •

الرد على الباحثة

تمهيد :

يحمل باحث مسلم مرموق على الفقهاء لأنهم عرفوا النكاح بتعريف حسّى هو : « عقد ملك منفعة البضع » .

مع أن الفقهاء الذين قالوا ذلك .. هم أنفسهم الذين ذكروا من آداب الزواج ما يرقى به إلى سماء ليس وراءها سماء ..

ويجب أن يضاف ذلك إلى التعريف الذى ركز على مقصود الزواج وهو : الولد .. والولد لا يأتى إلا عبر هذا الطريق .

ثم نزعم أنه : ربما كان كلَام الباحث المسلم ذريعة لمثل ما ذهبت إليه الباحثة الغربية .. ولكن .. هل الأمر كذلك ؟

والجواب : نستفتى آى القرآن الكريم .. إن الحديث فيه عن الجنة ورد فى مائتى موضع .. وقد ورد النعيم الحسِّى فى أربع مرات :

فى سورة الدخان : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ [الدخان: ٥٥] .

وفى سورة الطور: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠].

وفى سورة الواقعة : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ⑳ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ㉑ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [الواقعة: ٢٠ـ ٢٢] .

وفى سورة الرحمن : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ⑰ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑱ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٠ ـ ٧٢] .

وفى سورة الإنسان : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ⑰ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨] .

وإذا كان النعيم الحسّى هنا واضحًا .. فإن النعيم الروحى يرف من فوقه ومن حوله : ففى آيات سورة الواقعة نتأمل ؛ نتخير والتخير نفسه نعمة تحس ولا توصف .. بل إن حرية الإنسان فى الاختيار أجل من النعمة نفسها ، ثم نقرأ بعدها عن نعمة « السلام » الذى لا يسمعون غيره وقبلها : ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴾ [الواقعة: ٢٥] وذلك أقرب إلى إيناس الروح منه إلى متعة الجسد.

وبعد هذه المواطن : يستفيض الحديث عن الجنة ونعيمها الروحى :

قال تعالى فى سورة محمد : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ [محمد: ١٥] ، والآية الكريمة توضح منهج القرآن الكريم . ومن ملامحه : أنه يجسد المعانى بما نراه محسوسًا . تمكينا للمعنى فى القلوب ، على أن من الجزاء فى نفس الآية : المغفرة ، ونقرأ فى سورة آل عمران قوله عز وجل : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [آل عمران: ١٤] .

وعندما نتأمل الآية الكريمة نجدها منسجمة مع منهج القرآن فى الاعتراف بواقع

الإنسان . . وأنه محكوم بهذه الشهوات . . ثم يهيب به أن يرتفع إلى أعلى . .

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥] ومن هذا الخير : الماء . .

والماء الجارى . . الذى يعبرّ جرياته عن قيمة الجمال . .

ونقرأ فى سورة الزمر قوله عز وجل : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣] .

إن الجزاء هنا هو : السلام . والخلود . .

ثم ما حكى عنهم: ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ [الزمر: ٧٤] ، والحركة الطليقة بين فراديس الجنان متعة آخرى فوق متعة الحواس .

ومما يعزز ذلك :

ما جاء فى وصف العذاب :

فهو مرة : أليم.

ومرة : عظيم .

ومرة : مهين .

فهو حسّى . . ومعنوى.

• • •

من خطة الأعداء

كان من خطط الأعداء الرامية إلى التشويش على الإسلام . . محاولة تدريب العوام هنا على كراهية الرسالة والرسول . . فجاءت المؤامرة واضحة : فقالوا : إن لله تسعة وتسعين اسمًا فيها المخيف : وهو المنتقم الجبار . .

وزعموا : أن إله المسيحيين رفيق . . لدرجة أنه ضحى بابنه الوحيد . . فداء للبشر !! بينما المسلمون يضحوّن بكبش ضعيف !

ولقد تم هذا ضمن منهج « الانتقاء » : اختيار ما يمكن استثماره ترويجًا لباطلهم على طريقة : لا تقربوا الصلاة . . .

والحق :

والحق أن هذه صفات كمال . . وجمال :

كمال :تربية للخوف .

وجمال :تربية للرجاء .

وعلى جناحين من الخوف والرجاء يطير الإنسان .

ثم إن « المنتقم » عزاء للمظلومين إشعاراً لهم بأنهم فى حماية الجبار الذى ينصفهم من هؤلاء الظالمين .

وأين وجه الشبه بين هذا : وبين بشر . . يقتلون واحداً فداء لخطأ الأب الأول . . مع أن الخطأ لا يبرر الخطأ ؟

إنها شبهات زائغة لا تصمد أمام الحجج الدامغة !!

• • •

نفثة مصدور

إن المطبعة لتقدم للناس فى كل يوم ألوانا من الثقافة وصنوفًا من المعرفة . . لأناس يؤذنون بيننا بأفكار مستوردة من الشرق والغرب . . مشفوعة بإعجابهم الآخذ بها وبنتائجها الحتمية فى ترقية الفرد . . وإسعاد المجتمع . .

وعلى قدر صلة هؤلاء الشباب بالإسلام . . يكون تلميحهم أو تصريحهم فى النيل منه . . والإزراء به . . والتشكيك فى قدرته على ترقية الفرد من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية . . ونحن فى عصر يؤمن فيه الناس بالكلمات المطبوعة . .

وبناء على ذلك .. فقد استطاع هذا الزيف أن يحتل مساحات واسعة بين أدمغة الأغرار وقلوبهم !! فتنادوا به .. بل ودافعوا عنه .. بعد أن أفلحت الثقافة الغربية الوافدة أن تخفف من قيمة المثل العليا فى قلوبهم .. لأن المثل العليا حق.. والحق مر فى حلوق بعض الناس !

وباسم التجديد .. وباسم التطور ومجاراة العصر .. ديست تعاليم الإسلام.. وأصبحت عقائده ومثله مجموعة من الصور الذهنية لا تشكل سلوكًا .. ولا تنال حظها من التقدير .

لقد جرب الاستعمار المتربص بنا لغة القوة فلم يفلح .. فحاول أن يغزو عقولنا .. عن طريق مجموعة من المؤسسات الأدبية .. فقدمت لنا سمومها الناقعات فى أقراص واقية .. بحيث لا نحس مرارتها .. ولا نشعر بطعمها الحقيقى .. ورسخت فى كيان بعض الناس .. فشكلت أعمالهم .. وأصابت ملكة التمييز فيهم .. فلم يعد فى حسابهم تقدير لخلق أو ضمير .. وإنما هى المظاهر البراقة وحدها عنوان رقى الإنسان .

وبدل أن توضع أخلاق الإنسان فى ميزان التقدير .. بدل أن يوزن من الداخل .. وزن من الخارج .. أى أن الحضارة انتقلت من الداخل إلى الخارج.. فيكفى أن تكون أنيق الملبس .. ضخم الجثة .. يفوح من حولك العطر .. لتنال إعجاب الناس وتقديرهم ..

ولا يعنيهم بعد ذلك إن كنت أبيض القلب طموحًا .. تتخذ من الدين صراطًا مستقيمًا تنقل عليه خطاك ..

فالدين ـ فى حسابهم ـ هناك .. فى مؤخرة الركب .. مبهور الأنفاس .. والعلم هناك أمام القافلة .. يكتشف للناس المجاهيل .. ويهتك المساتير .. وليس من الحكمة أن نعطى العلم إجازة حتى يلحقه الدين .. لأن فى هذا قضاء على مدارك الإنسان .. وحكمًا على قواه وطاقاته بالإعدام !! وهكذا يصنع

الاستعمار الماكر بعقول الفارغين ففتنهم عن أدبهم وصرفهم عن تاريخهم . . وزين في قلوبهم أن الآداب الغربية من لوازم المدنية الحديثة .

فكما تركنا في الأكل اليد إلى الشوكة والسكين . وفي اللباس الجبة والقفطان إلى الجاكتة والبنطلون . . ينبغي أن نترك الكلام في اللغة العربية وآدابها إلى اللغة الأوربية وآدابها ليقال إننا متمدنون تقدميون . نحفظ هوجو ولا نحفظ المتنبي وندرس فولتير ولا ندرس الجاحظ ونقرأ لامرتين ولا نقرأ لبديع [١] .

ويكفيك مظهراً يدل على فتور العاطفة الدينية عند بعض الناس ما قاله أحد رؤساء المصالح الحكومية :

لقد قيل له : إن فلانا يصلي ويتقي الله في أعماله . . فهو أولى من فلان بالوظيفة . . فقال : إن التقوى سلوك شخصي . . لا صلة له بإتقان العمل !!

وقد سمعنا أيضًا في العالم الماضي أن أحد المدرسين المبعوثين للأقطار الشقيقة. رسب في الاختبار الشخصي . . لأنه لم يستطع الإجابة على سؤال بشأن أعلى مبنى في ميدان التحرير !! وعلى أساس هذا المنطق . . ينبغي أن يكون المبعوث فقط من سكان مدينة القاهرة . . ليكون على علم بعدد شوارعها . . وعماراتها وأزقتها أيضًا !!

وكأن الجمهورية العربية المتحدة خلت من ستة آلاف قرية يسكنها ملايين المكافحين الأذكياء . . الذين لا يهمهم أن يعرفوا أعلى مبنى . . ولا أقصر مبنى! لأنهم تعلموا من دراساتهم التاريخية ومن حياتهم الواقعية . . إن هذه القصور لم تقدم للحياة إلا كل مشتغل . . مضل ! ومن أكواخ الفقر . . تشرق العبقرية عبر الزمان ! والسؤال الآن : ما الحكمة في إيفاد المبعوثين إلى الخارج ؟

أليست الحكمة أن يكونوا رسل خير وسلام بيننا وبين شعوب الأرض . . حتى تتوثق العلاقات . . وتتقارب المسافات فنسير معا على الطريق . . نرسي

---

(١)من مقال للأستاذ / أحمد حسن الزيات.

قواعد الحق والخير ؟

وما علاقة هذه الرسالة بمعرفة أعلى مبنى فى ميدان التحرير أو الجهل به؟

كنت أفهم أن يرسب هذا المدرس لأنه لم يستطع أن يقترح حلا لمشكلة اجتماعية تتعلق بهذا المبنى وهى مسألة الانتحار مثلا .. ولكن مرة أخرى .. نحن قوم نهتم بالمظهر .. لا بالمخبر .. بالشعائر لا بالشعور .. « بالمبنى » لا بالمعنى .

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]] .

ألم نتابع بمشاعرنا زيارة إمبراطور الحبشة للجمهورية العربية المتحدة ؟

لقد رأيت عشرات الصور للإمبراطور فى شتى المناسبات .. إلا أننى وقفت طويلاً أمام مشهد بين الإمبراطور وهو ينحنى ليقبل يد قسيس !

إنه رجل .. يمتلك من المال والرجال ما يؤهله ليعيش فوق مستوى الجماهير . . إلا أنه أراد أن يعيش كفرد ومن الناس .. وهو إذا يحترم رجل الدين فيقبل يده .. إنما يحترم نفسه .. ويقدر دينه فى شخص هذا القسيس .. فيرضى بذلك وجدانه الدينى الحى ..

وإن التاج من فوق رأسه تلمع درره .. ومظاهر الأبهة والسلطان .. لتذوب فى معنى الدين الكبير ..

وياليت عشاق الكرة عندنا فتحوا أبصارهم قليلاً ليروا شيطان الكرة البرازيلى « بيليه » قبل أن يبدأ الشوط .

لاشك أنكم لم تروه يا شباب .. وأنا ألتمس لكم العذر .. فلقد ركزتم أنظاركم فى قدميه السحريتين . لتروا كيف كان التجاوب شديداً بينهما .. وبين الكرة ؟!

ولو أنكم رفعتم رأسكم قليلاً عن .. الأرض لرأيتم عجبا .. إنه يتناول

الصليب الذهبى فى خشوع .. ثم يشبعه لثما وتقبلا .. ويودعه ضراعاته ودعواته!

أى تقدير غامر للدين فى قلب هذا الشاب ؟

وأى نكران لمظاهر الحياة يتبدى فى مشهده هذا ؟

إن الأيدى التى تصفق له طويلاً .. لن تتحول إلى حبال تصله بالسماء .. وهتاف الجماهير العالى لن يكتب له النصر أبداً ..

إنما هو الرجوع إلى الله .. إنه إيمانه .. عقيدته .. مبدأه .. يستهديه ويستلهمه التوفيق والهدى ..

وإذا كان انتصاره فى ميدان الكرة « وليد » فنه .. فإن الدين « والد » هذا الفن !

• • •

الدور الاجتماعى للداعية

لابد أن يكون للداعية «حضور مكثف» فى المجتمع الذى يعيش فيه. فقد قدم ﷺ يومًا . القوم مختلفون : أيهم يضع الحجر الأسود ؟

وقد حقن الله تعالى به الدماء.. ثم كان عضوا بارزًا فى « حلف الفضول » الذى ظل فى ذاكرته شاخصًا متمنيًا أن يتجدد ليجدد نشاطه به . الأمر الذى يتقاضى الداعية أن يعيش فى وجدان الناس دائمًا .. إلى الحد الذى يقال فيه : الناس نيام .. فإذا مات الداعية انتبهوا !!

شهبة مردودة :

وقد يفترون الكذب فى محاولة لقصِّ أجنحة الداعية زاعمين بأنه فاشل اجتماعيًا .. الأمر الذى يفرض عليه أن يفهم درس المجربين الذين قالوا : النجاح والفشل ضدان لا يجتمعان معا ، والنجاح الحقيقى لا يأتى مصادفة ، ولا هو

ضربة حظ ، إنما هو فن تحقيق الممكن بالاعتماد على عوامل ذاتية متداخلة، هى منظومة ممتازة من قيم وقدرات ومهارات عقلية ومعرفية وعزيمة وهمة وإرادة حديدية ، وهذه المنظومة تحرك وتوجه الفكر والسلوك وتدفع صاحبها على طريق النجاح ، على خلاف النجاح الذى يعتمد على عوامل خارجية كالثراء أو الحسب والنسب أو السلطة ، ويذهب بذهاب ذلك كله أو بعضه ، وقد أجرى فريق من علماء النفس والإدارة دراسة مقارنة على الناجحين ، والفاشلين فى الحياة والعمل للتعرف على الخصائص العقلية والمعرفية والسلوكية المشتركة بين الناجحين ، وتلك المشتركة بين الفاشلين نوجزها فيما يلى :

* الناجح يحدد المشكلة بحيث لا يضيف إليها ما ليس فيها ولا يطرح منها ما هو منها ، ويرد المشكلة إلى أسبابها وعواملها ، ويركز عند حل المشكلة على السبب باعتبار أنه هو العنصر الأساسى الذى أدى إلى النتيجة التى حصلت، واضعًا فى الاعتبار ظروف الزمان والمكان والإمكانات المتاحة ، وإن لكل مشكلة ظروفها وأساليب حلها ، ومنها ما يحل ومنها ما يتحلل ، والفاشل يجمع ما لا يجمع مع بعضه ويطرح مالا يُطرح من بعضه ، ويلف ويدور حول المشكلة ويعيش فيها دون أن يواجهها ، أو يجذب المشكلة من ذيلها بدلا من تحطيم رأسها.

* الناجح يرى الجزء فى سياق الكل الذى يحتويه ، ويوجد بين المنثورات المتباعدة فى قضايا وأحكام لها صفتى الشمول والاتساق ، ونظرته هى نظرة الطائر الذى كلما ارتفع رأى أكثر ، والفاشل « ينظر » دون أن « يرى » ونظرته جزئية أو خطية مستقيمة ، ولا يرى إلا ما هو تحت قدميه .

* الناجح يوضح الأمور ويفسرها ، ويجيد التنبؤ بما ينتج عنها ، والفاشل يشوش الأمور أو يبررها بإعطاء أسباب تبدو مقبولة اجتماعيًا أو معقولة منطقيًا على الرغم من أنها بالفعل غير ذلك ، وتخيب تنبؤاته وتطيش توقعاته .

* الناجح يعرف متى تكون المواجهة ، ومتى يقبل الحلول الوسط ، والفاشل

يرضى بالحلول الوسط فى الأساسيات ، ويركز فى الجزئيات والفرعيات التى لا تستحق المواجهة .

* الناجح يتمسك بالأهداف مع مرونة الاقتراب منها وتحقيقها والفاشل يتمسك بالمواقف ويركز فيها .

* الناجح يفكر ثم يقول وكلامه قليل وفى الموضوع ، والفاشل يقول ثم يفكر، وكلامه كثير وخارج الموضوع .

* الناجح يتوافق أى يتغلب على خبرة الصراع والإحباط بالأساليب الشعورية المباشرة ، فيبذل الجهد لإزالة العائق والوصول إلى الهدف ، أو يبحث عن طريق أخرى للوصول إلى الهدف ، أو يستبدل الهدف بغيره ، والفاشل يتوافق بأساليب لا شعورية غير مباشرة ، تعرف باسم الحيل النفسية الدفاعية ، كالتبريد والإسقاط والعناد والانسحاب والنكوص وأحلام اليقظة ، وما إلى ذلك من أساليب التوافق السيئ التى تؤدى إلى السلوك المضطرب أو الشاذ .

* الناجح يدرك أن ليس ثمة شخص واحد بلا عيوب ، وأن المجتمع يتسع للجميع من ذوى الخصائص الجسمية والنفسية والسلوكية المختلفة ، فيتقبل ما لا يمكن تغييره فى ذاته وفى الآخرين ، والفاشل يتصور أنه فريد زمانه ، وأنه وحده الذى يفهم . ويرفض الآخر المغاير ويضيق به .

* الناجح يعترف بأخطائه ويعتذر عنها ويتجنب تكرارها فى المستقبل ، والفاشل يخطئ ولا يعترف بأخطائه ، ويجاهر بأن ما حدث من أخطاء ليس غلطته.

* الناجح يشك والشك عنده ليس ضد اليقين ، إنما هو أحد شروطه ، والفاشل يؤكد ويكتفى بما عنده أو ما يصل إليه من معلومات دون أن يحققها .

* الناجح يستخدم ألفاظًا من نوع « ممكن » و « يجوز » و « يحتمل » ، والفاشل يستخدم ألفاظا من نوع « مستحيل » و « قطعا » « حتما » .

* الناجح ينظر وراءه ليفهم ،وأمامه يعيش ويوازن بعد ذلك بين المختلف الاختيارات ثم يختار ، والفاشل يعيش فى الماضى ، ويستغرقه شعور رائف بالتضحية ، وتصرفاته الآتية ردود أفعال .

* الناجح يبحث عن سبل أفضل ، ويتصف تفكيره بالطلاقة والمرونة واستشفاف المشكلات ومواصلة العمل والتقييم ، والفاشل يعتمد على المحاكاة ويرضى بأقل القليل ، ولسان حاله « ليس فى الإمكان أبدع مما كان » .

* الناجح يقدر غيره من الناجحين ، ويسعى للتعلم منهم وكسب خبراتهم ، والفاشل يكره الناجحين ويبحث عن نقاط الضعف فيهم ويبرزها ويضخمها .

* الناجح يتجنب الوقوع فى مصيدة الآخرين ، والفاشل كالسمكة تقع فى المصيدة .

* الناجح يرفع رأسه لفوق ويجعل أنفه فى مستوى المحيطين به ، ويرى أن مائة صديق ليس كثيراً وعدد واحداً كثيراً جداً ، والفشل يركز حول ذاته ، ويفقد صديقًا كل يوم .

• • •

الدين : للحياة

يقول الأستاذ فتحى رضوان : أراد بعض الذين لم يقرأوا القرآن أو الذين قرأوه ، دون أن يتدبروه ، أو الذين قرأوه وتدبروا معانيه ، وأدركوا آياته ومراميه، ولكن لمرض فى قلوبهم ، نسبوا إليه ما ليس فيه ، أولئك جميعًا أرادوا أن يصوروا الدين الإسلامى بأنه ذهول عن حقائق الدنيا ، التى لا فرار منها ، ولا فكاك من أسرها ، فى حياة الآدميين ، وأنه دين روحانى فقط . والروحانية عندهم، قرين الغيبوبة ، يفر بها الإنسان المغلوب على أمره ، من متاعب جوعه وفقره ، وآلام عجزه وضعفه ، إلى عالم يتخيله ، هو عالم الآخرة ، يعوض فيه عن الجوع ، بأنهار من عسل مصفى ، وأنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن

لم يتغير طعمه ، ويعوض عن حرمانه وهوانه ، بولدان مخلدين ، وحور عين ، ويعوض عن خوفه وقلقه ، عن حياة لا خوف عليهم فيها ولا يحزنون .

أما الحقائق المادية للحياة ، من سعى فى الدنيا ، يؤدى إلى جمع المال : وإحسان توزيعه ، وسد حاجة المحتاجين بالطعام يأكلونه ، وبالكساء يرتدونه .

وسرعان ما احتلت الملابس الأوربية أجسامنا .. والأثاث الأوربى بيوتنا والعادات الأوربية فى الأكل والنوم ـ أحوالنا .. أما تألق الذهن .. وجودة التفكير .. وإطلاق القوى البشرية من مرقدهـــا لتسعى وتربح .. فذاك شـــىء آخر .. ومن السهل على القردة أن تقلد حركات إنسان ما ..

أفتظنها بهذا التقليد السخيف تتحول بشراً ؟ ؟

ولقد رأينا المسنِّين من الرجال . والأحداث من العيال يأخذون عن أوربا الكثير من مظاهر المدنية الحديثة . وهى مظاهر نبتت خلال حضارة الغرب .. كما تنبت (الدنيبة) خلال حقول الأرز .. إنها شىء آخر غير حضارة الغرب التى ارتفع بها واستفاد منها ..

فهل هذا الأخذ الغبى رفع خسيستهم أو دعم مكانتهم ؟

كلا .. ما زادوا به إلا خبالا ..

والواقع أن اليابان نهضت نهضة كبرى فى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد..

والصين نهضت نهضة أشمل وأخطر فى منتصف القرن العشرين ..

وكلتا الأمتين حرصت على تقاليدها الخاصة فى اللباس والطعام وما إليها ..

وعبَّتَ من مناهل المعرفة الحقيقية ما غير حالتها تغييرا تامًا .

أما نحن .. فقد هجرنا الموضوع إلى الشكل .. بل تخبطنا فيما ندع وننقل على حساب ديننا وتاريخنا .. فلم نصنع شيئا(١) .

(١) عن كتاب « الإسلام والطاقات المعطلة » للأستاذ محمد الغزالى .

وبالمسكن يأوون إليه ، وتطيب نفوسهم فيه ، بعد عناء المجاهدة ، من أجل الرزق والعزة ، فوقف على جماعة من أقوياء المجتمع تنتهى إليهم السلطة ، وتسلم لهم مقاليد التجارة والصناعة والزراعة ، ويجمعون بين جاه الدنيا : مناصب الرياسة والسيادة ، وجاء الدين : أحبارًا وكهانا وسدنة للمعابد .

ثم يقول :

وليس ثمة شيء أبعد من الحق والحقيقة من هذا الافتراء ، فالعرب أمة ، لم تكن تنعم فى أرضها بمصادرة الثروة الميسرة ، ولا السخية ، فأرضهم جدب ، وماؤهم غور ، لذلك كانت التجارة ، أصل موردهم الأول ، ينتقلون بين الدول الغنية بما تنتجه تلك الدول ، من نفائس الضاعة ، وخيرات الزراعة ، وتجنى من وراء هذه الوساطة ، ما يوفر لها الرزق ، وما يحقق لكبار التجار العيش الناعم ، والفراش الوثير ، فيهيئونهم للرياسة والسلطان ، لا بما بين أيديهم من مال فحسب، بل لما تتجه لهم التجارة ، من الاتصال بالأمم والشعوب ، ومعرفة أحوالها ، والوقوف على خبايا السياسة ، وخفايا الحكم ، والاقتراب من ذوى السلطة من الوزراء وأعوانهم ، فيقتبسون من خبرتهم ، وينقلون عنهم أساليبهم فى الإدارة ، وفنونهم فى الاقتصاد ، فتأتى للعرب ، فى بلاده القاحلة والمعزولة عن الناس من المعرفة ، ما لم يتأت لغيره من الدول التى تتكون مجتمعاتها من المدن ، لا من الواحات التى يتجمع حولها رعاة الأغنام ، كما كان الحال ، فى شبه الجزيرة العربية ، ولما كان القرآن الكريم قد جاء فيه قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] ، فقد تحتم أن يكون الرسول ، قادرًا لا على مخاطبة القوم الذين أرسل إليهم بلغتهم فقط ، لا أن يكون فوق ذلك مبينًا ، فصيحًا ، ليفهموا عنه ما يقول ، وليتأثروا بما فهموه من قوله ، بل إن مقتضى هذا الشرط اللازم توفره فى الرسول ، أى شرط قيام وسيلة التفاهم المشتركة بين المرسلين والذين أرسل إليهم ، أن يكون مدار الحديث بين الطرفين ،

أموراً تشغل بال أهل الرسول وعشيرته لأن اللغة ليست مجرد ألفاظ وأصوات تسمع ، بل أن معانيها هى جوهر هذه اللغة ، وهى الغاية منها ، ولولا دواعى المصلحة المشتركة بين الأقوام لما نشأت لغة من اللغات .

ومن هنا كان حديث الرسول محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام إلى أهله وعشيرته الذين يعيشون على ما تدره التجارة من رزق ، والذين يتأثرون بدواعى اتساعها ، ويسر سبلها ، أو ما يعترض طريقها ووسائلها من الصعاب والمتاعب . . كان غير قليل من حديثه ، وغير قليل من آيات القرآن ، فى شئون المال والتجارة ، وتدبيرهما ، وتتبع كل عنصر من عناصرهما ، جمعا وإنفاقا ، وشحا وسخاء ، وأخذا وعطاء ، وحلالا وحرامًا ، وبيعا وإيجاراً ورهنًا ، وبدلاً ، وتبرعًا وعوضًا . ومن هنا كانت سورة قريش ، من أوائل السور ، وكانت جماعا لما تقوم عليه حياة هذه القبيلة ، التى أتقنت التجارة ، وأصبحت مكة عاصمتها ، ملتقى الطرق التجارية العالمية قبل بعثة رسول الله ، بعهود . قال الله تعالى : ﴿لإِيلَافِ قُرَيْشٍ ① إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ ـ ٤] ا . هـ .

• • •

شاهد من التاريخ

كان من صور وجود الداعى فى وجدان المجتمع أن كان للعالم صنعة اشتهر بها . . ولم يكن ذلك مما يخل بمركزه :

وفى كتاب « صناعات الأشراف » تقرأ عنه كثرة كاثرة من الصحابة والتابعين ومن الأئمة : كأبى بكر ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو ابن العاص ، الذى كان جزاراً . كما كان عمر بن الخطاب « سمارا » .

ومن التابعين : سعيد بن المسيب . والذى كان يتاجر فى الزيت . وأبو حنيفة الذى كان يتاجر فى القماش .

وكان له ديوان مالـــى يوزع رواتب شهرية على كثير من فقراء العلمـــاء . ولا ننسى « الليث بن سعد » رضى الله عنهم أجمعين ، والذى كان دخله الصافى ثمانين ألف دينار من الذهب فى السنة .

ولم تجب عليه زكاة قط ؛ لأنه كان لا يستبقى فيها ما يحول عليه الحول .

وبهذه الحرف كان لهم حضور فى وجدان الأمة . . بالدخول فى عمقها فى صحبة احترام لتقاليد المجتمع . ما لم تكن إثمًا .

وبها بقى للعالم آثاره الاجتماعية . فوق آثاره الدينية : بحيث يكون مصلحًا اجتماعيًا إلى جانب كونه واعظا دينيا .

ذلك بأن التقاليد الاجتماعية :

١ ـ تعبِّر عن مزاج الأمة ومواريثها وتاريخها .

٢ ـ تميز شعبًا عن شعب .

٣ ـ نسيج المجتمع . ومجموعة الخبرة المعاناة .

٤ ـ تبقى حاكما نفىء إليه .

ولكن البعض يتسرع فى رفضها . مع أنها « عُرف » اعترف به الفقهاء ما لم يحل حرامًا أو يحرم حلالاً .

ألا وإن تنوعها يجعل من الشعوب طاقة أزاهير، ولا تفاضل بين عادات وعادات ، إلا بمدى قربها من هدى الله عز وجل .

ويذكر التاريخ : زبيدة بنت جعفر : زوجة هارون الرشيد :

١ ـ أنفقت من مالها كثيرًا .

٢ ـ وشاركت فى انتشار الإسلام .

٣ ـ وكان لها مائة جارية . كلهن يحفظن القرآن الكريم .

٤ ـ ولما قُتل ابنها « الأمين » رفضت فكرة الثأر . فكانت لها حركتها المباركة

فى المجتمع .

وكان عبد الله بن المبارك يحج سنة ويغزو سنة ، فإذا أراد أن يحج بعث من ينادى فى الناس : إن ابن المبارك يريد الحج فمن يجب أن يصحبه فليأت إليه . فيجيئه الناس أفواجًا ، فيقول لهم : نجعل نفقتنا شركة ، فإن البركة فيها أكثر ، فيعطيه كل منهم ما معه من النقود فى صرة يصرها ، يكتب عليها اسمه ، ثم يذهبون معه فكلما نزل منزلاً أعد لهم أطايب الطعام ، ومن ذلك الطعام الفالوذج، يأكلونه ويأكل هو من زهده ، على غناه ، طعامًا دون ذلك ، ثم إذا أنهوا حجهم قال لهم : انظروا ماذا تريدون أن تهدوا إلى ذويكم وإلى أصدقائكم لأشتريه لكم ، ثم أحاسبكم عليه . فيشترى كلٌ ما يريد . حتى إذا ما رجعوا إلى بلادهم ، وكانت بلده فى أطراف بلاد الأفغان اليوم ، أقام وليمة كبيرة ، ثم أعاد لكل منهم صرته التى فيها نقوده ، وكانت السفرة كلها على حسابه .

ومن طريق خبره أنه نزل مرة منزلاً ، فرأى بعدما نام أصحابه شابًا يأتى إلى دجاجة ميتة كانوا قد رموا بها فيأخذها فدعاه وسأله ، فتردد الشاب واستحيا ، وامتنع عن الجواب . فلما ألح عليه علم أنه هو وأخت له لا يملكان شيئًا ، وأنهما احتاجا حتى حلت لهما الميتة ، فلذلك أخذ الدجاجة .

فدعا عبد الله بن المبارك وكيله ، وقال : انظر كم بقى معك من النفقة ؟ أى من نفقته هو لحجه فأمسك منها ما يكفى لعودتنا ، وادفع الباقى إلى هذا الشاب ، فإن إعطاءه خير لنا من حجة النفل هذه السنة .

ذكرت هذه الحادثة استطراداً ، ليقرأها الذين يحجون فى كل سنة ، لاسيما من المقيمين هنا فى المملكة ، فيضيقون المكان على من يحجون حجة الفرض ، ويزيدون الازدحام ، ليعلموا أن لهم قدوة إن تركوا حجة النفل واستبدلوا بها عملاً آخر من أعمال الخير .

وأبواب النوافل التى توصل إلى الجنة كثيرة . ا ، هـ .

وفى قضاء حوائج المسلمين

كان ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ معتكفا . . وجاء رجل يزوره . . فرآه ابن عباس حزينًا كاسف البال . . فسأله عما به ولم يقطعه الاعتكاف عن تلمس حاله .

فقال له الرجل : علىّ دين . . أهمنى . .

فقال له : أفلا أكلم لك الدائن ؟

قال الرجل : نعم .

فلما خرج ابن عباس . . تعجب الرجل قائلا لابن عباس : أنت معتكف ؟!

فقال ابن عباس على الفور : سمعت صاحب هذا القبر . والعهد به قريب : يعنى أنه ما نسى قوله سمعته يقول : « **من مشى فى حاجة أخيه ـ مشى وإن لم تُقض ـ كان له مثل أجر من اعتكف عشر سنين** » .

• • •

من صور المروءة

المرأة التى كانت تهدى جارتها من الخبز الساخن . . وليس « البايت » البائر .

ومن بنى لكل عاجز داراً ـ قاعة ـ خاصة به . . ثم يزورهم كل أسبوع سائلا عن حاجاتهم حتى لا يحرجهم .

ومن قال : أهلا بمن يحولون أموالنا إلى الآخرة !

• • •

ابن خلدون

مع أن عمله الأساسى هو : الدعوة إلى الله ولكنه كان يمثل مصر فى مفاوضة التتار لما هاجموا الشام .

ولما زار « غرناطة » طلب منه أميرها المسلم أن ينوب عنه فى مخاطبة حاكم «أشبيلية » الأعجمى .

وقد أعجب به الحاكم الأعجمى وعرض عليه أن يكون مستشاراً له على أن يرد إليه أرض آبائه التى فقدوها من قبل .

فأشار عليه كطلبه . . ولكنه اعتذر عن قبول عرضه عودة الأرض إليه .

و قد كان للإسلام توجيهاته التى تجعل المسلم خيطًا فى نسيج المجتمع بالعين فى خضمه عن طريق ما ألف من عادات والتى هى :

مجموعة العادات والقواعد المتفق عليها المتعلقة بالسلوك الاجتماعى والخصال الحميدة وحسن الخلق واحترام النفس والغيرة وفن المجاملة واحترام المواعيد ومراعاة الأسبقية فى المناسبات الرسمية وغير الرسمية ، ولو كشفنا عن معنى كلمة إتيكيت فى القاموس لوجدنا « آداب السلوك » ولقد سارعت جميع الدول الأوروبية بتطبيق مبادئ الإتيكيت بهدف الارتقاء بالسلوك للوصول إلى أعلى درجات التقدم الحضارى وأن تطبيق مبادئ الإتيكيت دليل أكيد على احترام النفس البشرية وتقديرها تلك التى فضلها الله سبحانه وتعالى عن سائر المخلوقات فإذا ما ارتقت النفس البشرية أقامت أعظم الحضارات .

وقد سبق الإسلام إلى وضع قواعد الإتيكيت ، وقد أكد ذلك علماء الغرب وفلاسفته حينما أشادوا بعظمة الدين الإسلامى كدين وحيد يجمع بين الدنيا والآخرة وبين مطالب المادة ومطالب الروح دون تعارض ولا تصادم .

فالخصال الحميدة وحسن الخلق واحترام النفس والغير : صفات دعانا الإسلام إلى ضرورة التحلى بها عند التعامل كى نتجمل بمكارم الأخلاق مع كل من نلتقى بهم بصرف النظر عن اختلاف دينهم أو جنسيتهم للحفاظ على شخصيتنا الإسلامية الأصيلة .

* أما عن فن المجاملة : ومنها « مجاملة الجيران والضيوف وزيارة المرضى

وتقديم التعازى » فقد أوصى رسول الله ﷺ بضرورة مراعاة حق الجار وإكرام الضيف بقوله : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** » .

أما عن زيارة المرضى وتقديم التعازى فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يزور المرضى ويشهد جنائز المسلمين وتلبية الدعوات .

* **أما عن احترام المواعيد** : قال تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا** ﴾ [النحل:٩١] لقد أكد الإسلام ضرورة المحافظة على المواعيد وعدم التخلف عنها إلا لعذر قاهر خارج عن الإرادة وفى حالة التخلف عن الموعد يجب الاعتذار .

* **أما عن مراعاة الأسبقية** : « العطف على الصغير ومراعاة حق الكبير » ، فقال رسول الله ﷺ : « **من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه فليس منا** » .

* **أما عن آداب الزيارة وضرورة الاستئذان** : فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ [النور:٢٧، ٢٨] .

فمن آداب الزيارة ضرورة الاستئذان واختيار الوقت المناسب وتحية صاحب البيت .

* **أما عن المصافحة** : فكان من أفعال الرسول ﷺ ، إذا لقى أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها .

* **أما عن آداب الجلوس** : فلم ير أحد الرسول قط مادا رجليه بين أصحابه .

* **أما عن آداب الطريق** : فقال رسول الله ﷺ : « **ليسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير** » .

* **أما عن عدم رفع الصوت عند التحدث** : فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان :١٩] .

• • •

من آثار الانتماء

وبسبب من هذا الانتماء .. كانت للمجربين توجيهات تضيف إلى الداعية رصيداً من المريدين

• • •

فقالوا : كيف تكسب الآخرين ؟

التعامل مع الناس فن من أهم الفنون .. فإن كان من السهل أن تفقد احترام الناس .. فليس من السهولة أن تكسب حبهم .. وقال المتخصصون : أن هناك بعض القواعد التى تؤدى إلى كسب حب الناس :

* **لكى تكون متحدثًا جيداً .. فعليك فى المقابل أن تجيد فن الإصغاء لمن يحدثك.. فمقاطعتك تضيع أفكاره وتفقد السيطرة على حديثه .. وبالتالى تجعله يفقد احترامه لك .. لأن إصغائك له يحسسه بأهميته عندك .**

* **حاول أن تنتقى كلماتك .. فكل مصطلح تجد له الكثير من المرادفات فاختر أجملها .. كما عليك أن تختار موضوعًا محببًا للحديث .. وأن تبتعد عما ينفر الناس من المواضيع .. فحديثك دليل شخصيتك.**

* **حاول أن تبدو مبتسمًا هاشًا باشًا دائمًا .. فهذا يجعلك مقبولاً لدى الناس حتى من لم يعرفوك جيداً . فالابتسامة تعرف طريقها إلى القلب ..**

* ركز على الأشياء الجميلة فى من تتعامل معه .. وتبرزها فلكل منا عيوب ومزايا .. وإن أردت التحدث عن عيوب شخص فلا تجابهه بها ولكن حاول أن تلفته إليها بلطف كأن تتحدث عنها فى إنسان آخر من خيالك .. وسيقيسها هو على نفسه .

* كن متعاونًا مع الآخرين فى حدود مقدرتك .. ولكن عندما يطلب ذلك، حتى تبتعد عن الفضول .

* حاول أن تقلل من المزاح .. فهو ليس مقبولاً عند كل الناس .. وقد يكون مزاحك ثقيلاً فتفقد من خلاله من تحب .. وعليك اختيار الوقت المناسب لذلك .

ابتعد عن التلون والظهور بأكثر من وجه .. فسيأتى عليك يوم وتنكشف أقنعتك .

ابتعد عن التكلف بالكلام والتصرفات .. ودعك على طبيعتك مع الحرص على عدم فقدان الاتزان .. وفكر بما تقوله قبل أن تنطق به .

* لا تحاول الادعاء بما ليس لديك فقد تقع فى موقف لا تحسد عليه .. ولا تخجل من وضع غيرك فهذا ليس عيبًا .. ولكن العيب الزيف عندما ينكشف.

* اختر الأوقات المناسبة للزيارة .. ولا تكثرها .. وحاول أن تكون بدعوة.. وإن قمت بزيارة أحد فحاول أن تكون خفيفًا لطيفًا .. فقد يكون لدى مضيفك أعمال وواجبات يخجل أن يصرح لك بها ووجودك يمنعه من إنجازها.

* لا تكن لحوحًا فى طلب حاجتك .. ولا تحاول إحراج من تطلب إليه قضاؤها .. وحاول أن تجد له العذر فى حالة عدم تنفيذها وأنها لن تؤثر على العلاقة بينكما .

* حافظ على مواعيدك مع الناس واحترمها .. فاحترامك لها معهم ..

سيكون من احترامك لهم . . وبالتالى سيبادلونك الاحترام ذاته .

* ابتعد عن الثرثرة . . فهو سلوك بغيض ينفر الناس منك ويحط من قدرك لديهم .

عليك بالتواضع - بغير ذلة - مهما بلغت منزلتك ، فهو من أجمل الأخلاق. . فإنه يرفع من قدرك ويجعلك تبدو أكثر ثقة بنفسك . . و بالتالى سيجعل الناس يحرصون على ملازمتك وحبك .

• • •

اللين .. وليس العنف

فى كلمة « الرسول » و « الرسالة » معنى اللين . . وخذ على ذلك مثالا : فعندما ترى من يركب الشطط سبيلاً إلى تحقيق هدفه فإنك تقول له : « على رسلك » بمعنى : تمهل . . وأحسن الهوينى !

وإذن فمعنى « العنف » مستبعد ابتداء . .

ولما كان الداعية على طريق الرسول . . فإنه مأمور باللين طريقًا ممهودًا إلى قلوب المدعويين .

وهنا سؤال يفرض نفسه :

ولكن العنف موجود فعلاً . . فما هو السبب ؟ وهل إلى خروج من سبيل؟!

والجواب : هناك دول تتعقب الإرهاب إرادة تقليم أظافره الناشبة فى جسد الأمة. . بيد أنها لا تعرف الجذور . .

وقد تعرفها . . ولكن ليس لديها الحماس المطلوب للقضاء على الظاهرة واقعة تحت تأثير قوى عالمية شريرة لا تريد بنا خيراً . .

لأنها منطلقة من عادات خاطئة من مثل : عدم ضرب الطفل على كل خطأ يرتكبه . فراراً من تراكم العقد النفسية . . وكان من نتيجة ذلك : أن تربى

الأطفال هناك على فعل الشر . . وبلا مقاومة من الأسرة !

تُعمِّق ذلك فى أنفسهم أجهزة الإعلام : مرئية ومسموعة ، والتى تمده بالمشاهد الذى تنمى فيه نزعة العدوان .

هذه النزعة التى تتنامى حتى يكون من أمنيات الشاب أن يطبقها عمليًا.

ثم لا يقتصر الأمر على هذا . . ولكن طغيان المادية حمل الناس على التنافس والتهارش على حطام الدنيا . . إلى الحد الذى يرفع فيه السلاح أملا فى الحصول على مستوى مادى أرقى . . ولو خاض الفتى إليه بحرا من الدماء .

• • •

والحل

١ ـ ليس بالخطب وحدها . . لأن هذه الخطب لا يعدو أثرها جدران المسجد.

٢ ـ إقامة الحدود . . ردعًا لهذه النزعة العدوانية .

٣ ـ تحرير إعلامنا واقتصادنا من تحكم أعدائنا .

٤ ـ إقام الصلاة . . وإيتاء الزكاة .

٥ ـ إعداد الداعية الكفء القادر على التصدى لهذه الظاهرة . ومن يقفون وراءها . . بتصحيح المفاهيم المغلوطة هناك .

وليعلم الناس أنه : الترهيب . . وليس الإرهاب . . بمعنى أنه مجرد التهديد والتخويف . . ردعا حتى لا يكون قتال بالمرة .

ومنه ما حكاه القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام : ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾[النمل: ٣٧] .

• • •

عندما يكون الانتصار العسكرى سبيلا إلى الانتصار الدعوى

إنه ليست بالإسلام رغبة فى الجراح ولا الخوض فى الدم المستباح ..

والحرب فى شريعة الإسلام ضرورة ـ ومن السموم الناقعات دواء ـ ولقد كانت غايتها فتح القلوب : فتحها لترى جمال الإسلام .. فلعلها أن تدخل فيه.. وباختيارها .

وهذا هو الذى حدث بالفعل : لقد انتصر المسلمون فى « القادسية » .. والتى هزم فيها الأكاسرة .. ثم كان انتصارهم فى « القسطنطينية » ، والتى أنهت الوجود « البيزنطى » فماذا حدث ؟ حدث أن المغول هبوا كالإعصار فدمروا ، لكنهم لما تذوقوا الإسلام .. اعتنقوه .. بل صاروا من جنده بل والدعاة إليه ..

وقد أسلم « بركة خان » زعيم مغول الغرب . وبعد موت « هولاكو » دخل أخوه فى الإسلام وصار اسمه « أحمد خان » مما حرّض كثيراً من أتباعه على اعتناق الإسلام .. بالإضافة إلى ابنه « قازان » والذى صار اسمه « محموداً » .

وبالإسلام : تحولت أفكارهم . وتوقفت حروبهم بل صارت لصالح الإسلام.

ودليل ذلك :حفيد « تيمور بك » فتح الله به الهند ، ثم رفع عليها راية الإسلام .. ومن ورائه ألوف التتار الذين دخلوا معه فى الإسلام وهكذا .. بالتسامح والحب قهر الإسلام التتار والصليبيين . وصارت قوتهم ذلك الضباب الذى بددته شمس الصباح .

إن الكون من فوقنا . ومن حولنا مسرح متراحب .. يسرح فى جنباته الجميع .. فماذا نرى فى الواقع ؟

١ ـ نرى نظامًا ما يسعى إلى فرض خططه المالية والاقتصادية .

٢ ـ ومن خلال ذلك يلح في فرض أفكاره ومناهجه .

٣ ـ ثم فرض قيمه وأنماط سلوكه .

٤ ـ ثم ليصل في النهاية إلى فرض هيمنته وسيادته ، ولا بأس أن يصل على جسر من النفاق

• • •

جيش الدفاع

وإزاء هذا النفاق .. فنحن مطالبون بإعداد الداعية القادر على تحدى هذا النفاق الدولى فماذا نرى ؟!

بعض الدعاة اليوم حرصوا على أن يحفظوا المتون : بمعنى : حفظ مسائل في الدين جزئية . مع جهلهم بحقيقة الإسلام الجوهرية .

وبعض الدعاة :

وجهه : كأنه ورقة من مصحف ومنطقه : أرق من الماء . وأعذب من الجنى.

كادح إلى ربه كدحًا عبر مراحل هى :

سعى ، فوصول ، فمثول ، فلقاء.

وهناك دعاة : جهلوا أسلوب الدعوة : فأضلوا .. ولكن دون قصد وإن غيرهم ليضل .. عن قصد !!

ثم .. داعية مشدود الأعصاب : متعصب .. بينما دينه يدعو إلى التسامح.. بينما خصمه الماكر : يُظهر التسامح .. ويبطن الغضب .

من هدى السنة:

عاتب ﷺ الرجل في المسجد لما ناداه وهو يصلى فلم يجبه.. وكان شاهده : ﴿... إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

ولكنه ﷺ ذهب بوحشة الرجل لما مشى به فى المسجد : إيناسا له .

• • •

مما تجب معرفته

ليس حاسداً من يريد أن يرتقى إليك .. ولكن الحاسد حقًا هو من يتمنى هبوطك إليه .

ومن الحسّاد من يغتابك .. والغراب أفضل منه : لأن الغربان تأكل الأموات، ولكن المغتاب يأكل الأحياء .

إن أكثر الناس لديهم رغبة فى الإصلاح وقليل ما هم أولئك القادرون على التنفيذ .

أن تقول .. ثم لا تفعل : فأنت فلاّح : يحرث ولا يبذر .. إنه من السهل أن تكون جميلاً ولكن من الصعب أن تكون كاملاً .

دفاع عن الداعية :

وأحيانًا : تخرج الفكرة من « بصيرة » رجل : تخرج : عميقة . خصبة . واسعة .

ولكن البعض يستقبل هذه الفكرة « ببصره » ومن ثم لا يستطيع استيعابها بالنظرة المجردة . ومن أجل ذلك .. قد ينكرها .. ويجهد نفسه فى مقاومتها.

فتجاوز عن الهنات .. متفعًا بما فى نفس المخطئ من آيات بينات

ولكن بعض الدعاة قد يقع فريسة الحمق .. حين يشتد فيفر الصيد من بين يديه .. فكان هذا الرجل الذى قيل فيه : لا يغسل النهر خطاياه .. ولو غطس فيه الدهر كله !

وليذكـــر هؤلاء الدعـــاة أن الله تعالى يقـــول : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ولم يقل سبحانه إنا « فرضنا » الأمانة .

وإذن : فلا تطلق سهمًا يصعب عليك رده !

يقول عليه السلام : « **فإن لم يستطع فبقلبه** » ، وهو دور إيجابى . . وليس سلبيا . . كما يظن المتسرعون . . وإنما معناه : أن يظل إحساسك بوجود المنكر حادًا وأن تظل رغبتك فى إزالته مشتعلة . . أن تظل حاضرة . بل وملحة : تؤرقك بحيث لا تهدأ حتى يزول .

• • •

الحقيقة .. من القرآن

قبل أن يذهب موسى عليه السلام إلى ربه . كان هناك إعداد له : ﴿ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾ [الأعراف:١٤٢] ، بدليل أنه لما أراد « الرؤية » لم يجب إلى طلبه ؛ لأنه لم يكن مستعدًا لها .

ومن أجل ذلك قالوا : كانت الهجرة إلى المدينة بالذات لأن الناس هناك كانوا مستعدين لها .

ثم . وبدليل قوله عز وجل : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ ﴾[المائدة:١٠٦] .

• • •

من مسئوليات الداعية

إذا أراد الإنسان أن يرتفع . . فعلى عمد ثلاث :

١ ـ أن يعتقد أنه ملك يمشى على الأرض .

٢ ـ وأن أمته أشرف الأمم .

٣ ـ وأنه نازح إلى عالم أرقى .

وأعداؤنا يحاولون تحطيم هذه القواعد فى أنفسنا بمختلف المذاهب . . فلنحذرهم .

إن الداعية موضوعى :

أ ـ لا يتعصب . ب ـ يعود للحق إذا وضح .

جـ ـ لا يعمم الحكم . د ـ منصف.

من هدى السنة :

كان ﷺ يثنى على صحابته كل بما هو أهل له . . وكان مديحه أوسمة يضعها على صدورهم . . وهى أوسمة باقية . . وليست كأوسمة الدنيا .

• • •

آثار إهمال الدعوة

إهمال شعيرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : إن غياب هذه الشعيرة يعنى: ضياع الدنيا . وضياع الآخرة معا . . يقول ﷺ : « **لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم : ولتأطُرنّه ـ تجبرونه ـ على الحق أطرا. أو ليضربن الله بعضكم ببعض ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** » .

من أسباب نجاح الدعوة :

١ ـ اتفاق العلماء والأمراء .

٢ ـ تحقيق بعض النجاح أوّلا ؛ لأن ذلك يشجع على الاستمرار.

٣ ـ وفى هذا الجو : تتهيأ البذور فى الخفاء للنماء .

من أسباب تراجع الدعوة :

١ ـ الاشتغال بالمصالح الخاصة.

٢ ـ الفهم الضيق .

٣ ـ الشكوى من الأقوى .

والعلاج هو :نقد الذات : بحثا عن أسباب التخلف ، بدل التباكى : نقول

«نقد الذات » و « جلد الذات » ثم التعاون على ما نتفق عليه . ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه .

والانتقال من خطاب « التدمير » إلى خطاب « التنوير »

• • •

إلى كلمة سواء

بعض المغرضين يتهم المسلمين بأنهم :

إرهابيون . متخلفون وبلا حضارة .

مع أن حضارتهم بنيت على حضارة الإسلام .

ومن الحق أن يقال : أن رواج هذه التهم راجع إلى أننا باختلافنا . . ضعفت قوتنا حتى صرنا قابلين للاختراق . .

ومن صور اختلافنا قول أحدهم : فلان . . تاب من « الوهابية » ورجع إلى «بوذيته » ؟!!

فشت الجهالة واستفاض المنكر فالحق يهمسُ . والضلالة تجهر !!

وهكذا أعداء الحق . . يمارون ومن مراثهم : أنهم يرسمون من آرائهم حدوداً للحقيقة . . وهم أحوج الناس إلى التعلم: لقد جعلوا الحسَّ مقياسًا .

ويعنى ذلك : أنهم لا يدركون من المعقول خلف السطور شيئًا ، وهو فرار من مسئولية الإيمان . . لأن الإيمان مسئولية .

إن اللصوص . . يضعون ميثاق « شرف » ! لا يخونونه ، واللص وهو يدير مفتاح الخزينة ليسرقها يقول : بسم الله، فأجدر بحراس العقيدة أن يكونوا أوفياء . .

لكن بعضهم يؤثر أن يؤتى الإسلام من قبله . . وهو يظن أنه يخدمه . .

ومنهم ذلك الذى شنع بصورة فتاة من أجل كشف رأسها ـ ساعة واحدة ـ ليلة الزفاف . . وكانت قبلها « محجبة » وبعدها محجبة !! ولكنه المزاج الدموى يسول لصاحبه أن يفتح النار . . على هذه الفتاة بالذات . . لأن أباها « شيخ كبير »!

• • •

من أخطاء المنهج

من مظاهر خطأ المنهج :

أ ـ أن نتصور أن تطبيق الشريعة يعنى : إسقاط كل المذاهب بمعنى أن من ليس معنا فهو علينا .

مثال :

والواقع غير ذلك : فقد يكون لدى « الآخر » حسن ظن بنا ، فهو معنا وإن لم يكن علينا ، قال « ابن مقرّن » لقومه : يا قوم ما سمعنا عن محمد إلا خيراً ، ولا سمعنا من دعوته إلا إحسانًا ، فما لنا نبطئ عنه . والناس إليه يسرعون .

وقد كانت هذه السَّنة ضعيفة بالغيث . . واستحيى الرجل أن يفد على الرسول ﷺ بيد فارغة ، فجمع من بيوت إخوانه غنيمات . . وساقها .

ولقد سُرَّ ﷺ سروراً عظيمًا : فقد كان الوفد يضم : أحد عشر أخا للنعمان مع أربعمائة فارس . .

ثم كان لهم فى الجهاد قدم صدق : ففى فتح مكة ؛ كان النعمان صاحب لواء « بنى مزينة » وكانوا ثلث الجيش .

وفى عهد أبى بكر رضى الله عنه . . وقفوا معه وقفة صامدة ضد المرتدين ؛ كان النعمان . . على ميمنة الجيش ، وكان أخوه عبد الله على ميسرته ، وأخوه «سويد» على الساقة ، ولقد أبلوا جميعًا بلاء حسنا .

وفى خلافة عمر رضي الله عنه : كان النعمان هو المتحدث باسم الوفد العسكرى فأحسن عرض القضية .. وذلك بعد أن استأذن من رفاقه ليكون المتحدث باسمهم.

• • •

من المفارقات العجيبة

أن الجماعات الإرهابية هناك .. فى أرض « الديمقراطية » من مثل :

١ ـ منظمات العمل المباشر .. فى فرنسا .

٢ ـ الألوية الحمراء .. فى إيطاليا .

٣ ـ الجيش الأحمر .. فى اليابان .

وهم يقولون : « إن الديمقراطيات لا تتحارب » .

ونقول : إن الفعل فعلهم أعلى صوتا من قولهم .

فالحرب العالمية : الأولى والثانية .. كلتاهما دارت رحاها على أرض أوروبا «الديمقراطية » ؟!.

• • •

والحق غير ما يهرفون

عندما تراجع الخطر الشيوعى .. ظهر « الخطر » الإسلامى .. والذى جمّع كل الأعداء علينا ولقد سوّل لهم وأملى لهم :

أولاً : تفوقهم العسكرى .

وثانيًا : تقدمهم العلمى .

وثالثًا : ما رأوا من سلبياتنا .. والتى أطمعتهم فينا .. فامتدوا فى فراغنا .

وصار المنطق عندهم هو : أن الحقيقة هى : ما يخرج من فم البندقية ! فصار

obeikandl.com

تكييف القضية على النحو الآتى : العنف .. والعنف الآخر ، وليس الرأى .. والرأى الآخر !!

إن الأمر بالقتال فى القرآن : « قاتلوا » لا يجعل من الجهاد فى الإسلام إرهابًا .. وقتلا للأبرياء والأقباط المسالمين ، وإنما مجرد ردع وتخويف.

• • •

وهذه آثار فأسهم

طاغية يدعى نابليون بونابارت ، تصوره كتب التاريخ عبقريا لامعًا وقائدًا ملهما بالرغم من هزائمه المخزية فى مصر وروسيا وترافالجار وووتولو ، و بالرغم من أنه تركهم يمسكون به ويحبسونه كجرذ ضئيل فى مصيدة حقيرة فى مكان لا يليق بنشال . هذا المأفون أراد أن يتزوج أخت قيصر روسيا ألكسندر الأول ، ولكن الأخير رفض وتحالف مع أعداء نابليون الإنجليز . وهكذا جنّدَ الإمبراطور العظيم جيشًا من نصف مليون من شباب فرنسا وإيطاليا ، وانتهت به عبقريته التاريخية إلى أن يعود بحفنة منهم لا تجاوز أربعة من كل مائة ! يعنى أهلكهم من الجوع والبرد والجراح المميتة وعاد يجر أذيال الخيبة ولا يخجل من أن يظل تاج الإمبرطورية على رأسه .

هل كان هذا زمنا سحيقًا ؟ أبدًا ، حدث هذا منذ أقل من مائتى سنة وفى القرن الذى يسميه علماء التاريخ والحضارة « عصر التنوير » أو على وجه الدقة ، بعد انتهائه بسنوات قليلة .

ولا ننسى أنه بعد مائة سنة من ذلك دخلت شعوب أوربا ـ التى كانت آنذاك قد تربعت حضارتها على عرش المعرفة والتنوير ـ فيما أسموه الحرب العظمى ، كانت الفيران تهاجم آلاف الجرحى فى خنادقهم وتفترسهم وهم لا يزالون أحياء ، وكانوا يموتوا وعيونهم تعبر عن الهلع من هول ما هم فيه .

كل هذا من أجل أطماع الحكام ، فما الفرق بين هذا وبين ذبح الأطفال قربانا

للحكام المتألهين ؟ ثم بعد تلك الحرب بعقدين من الزمن رأينا الفاشيين من الألمان واليابانيين يعبرون عن تفوقهم بالاستهانة بكل ما نؤمن له من خير وعدالة وقيم حقًا ، ماذا فى إبادة الضعفاء والأذلاء والمتخلفين ؟ ألن يكون هذا هو الطريق إلى عالم أكثر قوة وتقدمًا ؟ ليس هناك جديد فى هذا . . ففى محاورات أفلاطون ، نجد السوفسطائى ثراسيما خوس يقول : « إننى أعلن أن القوة هى الحق ، وأن العدالة هى ما يحقق مصلحة الجانب القوى . إن مختلف أشكال الحكومات تسن القوانين ديمقراطية ، أرستقراطية ، أوتوقراطية طبقًا لما ترى أنه يحقق مصالحها . وهى تفرضها على الشعوب بوصفها هى العدالة ، وتنزل العقاب بمن يخالفها بأن تصفه بالظلم والافتراء ».

من حق الفرد المفكر ، مثل نيتشه أن يرى أن العدالة ليست سوى منطق العبيد، وأن الضعفاء والعجزة هم الذين يشغلون أنفسهم بها ، إلا أن أناسًا عاديين ، مثلى ومثلك ، تثور نفوسهم وتضطرم جوانحهم لما حدث لابن المقفع ، وللمصير التعس الذى لقيه شباب أوربا على أيدى مخلوقات تمشى على قدمين ، مثل نابليون وموسولينى وستالين ، كما أن المفكرين : من أفلاطون إلى روسو ولوك وكانط ومور ، قد شغلوا أنفسهم بقضية الأخلاق والعدالة . وقد رأى أفلاطون أن جميع أفعال البشر تأتى من ثلاثة مصادر : الغريزة ، والعاطفة ، والمعرفة ، وأن أهم ثلاثة أشياء فى حياتهم هى : العدالة ، والجمال ، والحقيقة (وكم يتفق هذان التصنيفان !) وأراد أن يضع تعريفا للعدالة ، فهى عنده « أن يؤدى كل فرد ما عليه ويأخذ ما يستحقه » حقًا مسألة غاية فى الوضوح والبساطة! والآن ، وبعد انقضاء ما يقرب من خمسة وعشرين قرنًا ، نجد الفيلسوف الأمريكى جون رولز يقدم تعريفًا للعدالة قد لا يضيف كثيرًا ، وإن كان هذا يأتى فى بداية مؤلفه الضخم « نظرية فى العدالة » ، وقد لا يكون الإنصاف أن نغفل التعريف عن هذا السفر الضخم:

« العدالة هى أولى فضائل المؤسسات الاجتماعية ، وهى بالنسبة لها ما تمثله

الحقيقة بالنسبة إلى المنظومات الفكرية النظرية ، مهما تتصف بأنها جذابة واقتصادية ، تكون جديرة بالرفض أو بالتعديل إذا كانت غير صادقة ، وبالمثل فإن القوانين والمؤسسات تستحق الرفض أو التعديل إذا كانت غير منصفة . إن لكل فرد حقه فى ألا ينتقص منه أو يعتدى عليه ، وهو حق يتأسس على العدالة ، ولا يجوز لشىء أن يتخطاه بما فى ذلك حيز المجتمع ككل » . .

حسنًا ، تعريف مقنع ، لولا أنه يستخدم كلمة « العدالة » مفترضًا أننا نعرف مضمونها . . فإذا لم نكن نعرفه فإنه يلزمنا تعريفها ! وهو ـ على أى حال ـ يسرع فيضيف أن الاتفاق ـ بدرجة أو أخرى ـ على مفاهيم العدالة قد لا يكون كافيًا ، فهناك « مشكلات اجتماعية أساسية » مثل « التنسيق » (وهو ما يستخدمه أفلاطون أيضًا فى حديثه عنها) و«الكفاءة» و«الاستقرار» ونراه محقًا فى هذا تمامًا، فالمساواة بين جميع الناس أفرادًا أو جماعات قد تخل باستقرار المجتمع وبكفاءته طبعا ، وهو يمضى فيقول إنه لا يكفى للمجتمع أن يكون جاهدًا فى تحقيق خير أفراده ، بل يجب أن تتوافر فيه خاصيتان هما :

١ ـ أن يكون كل شخص راضيًا عن مبادئ العدالة نفسها المقبولة من الآخرين ومدركًا لها .

٢ ـ ثم أن تكون المؤسسات الاجتماعية الأساسية عاملة على تحقيق هذه المبادئ ومعروفًا عنها أنها كذلك . . حسنا وما المبادئ ؟ إنه يأتى بمبدأين :

الأول :أن يكون لكل شخص الحق نفسه فى الحريات الأساسية وعلى أوسع نطاق يشمل هذه الحريات ، والثانى ، أن تكون حالات عدم المساواة مرتبة ، بحيث يكون من شأنها تحقيق خير الناس جميعًا ومرتبطة بالمراكز والمواقع التى هى متاحة أو مفتوحة للجميع .

لا نظن أن مركز أبى جعفر المنصور أو نابليون كان متاحًا لغيره فى زمانه ، وقد نستطيع أن نخلص من هنا إلى ضرورة عدم انفراد شخص واحد بالسلطة ،

وفى الزمن الذى نعيشه الآن قد أصبح واضحًا أن المشاركة فى صنع القرار لم تعد عملاً يصلح له أو يقدر عليه فرد واحد بعد أن اتسع نطاق المعارف والخبرات إلى حد ضرورة الأخذ بالآراء العديدة والمعلومات وإدخالها فى الحاسوب وإعادة التأمل فى النتائج ، قبل أن نرسل الحملات على طريقة نابليون فى مصر وروسيا، ونعود بالخيبة نفسها ، ليس هذا جديداً على كل حال ، بل إنه إذا كان دبشليم الملك يستشير بيدبا الفيلسوف فمن باب أولى أن يحاكيه حكام زماننا . الديمقراطية إذن ليست قضية عدالة فحسب ، بل هى قضية علمية وتقنية فى المقام الأول ، سننقل كلمة واحدة أخيرة عن الدكتور رولز قبل أن نمضى فى طريقنا نحن :

« إن هدفى هو أن آتى بمفهوم للعدالة يهيئ بديلاً لمذهب المنفعة يكون منظوميًا بدرجة معقولة ، هذا المذهب الذى ساد الفكر السياسى الأنجلو سكسونى زمنًا طويلاً ، والسبب الأساسى فى سعيى لإيجاد هذا البديل هو شعورى بما يتصف به مذهب المنفعة من الضعف وعدم الكفاية كأساس للديمقراطية الدستورية . وأنا لا أرى بصفة خاصة أن النفعية تصلح لأن تهيئ إقراراً نافعًا للحقوق والحريات الأساسية للمواطنين بوصفهم أفرادًا أحرارًا ومتساوين ، وهو أكثر الأسس التى تقوم عليها المؤسسات الديمقراطية أهمية » ، ثم « ونحن أحيانا ننسى أن كبار مفكّرى النفعية مثل هيوم وآدم سميث وبنتام وستيوارت مل ؛ كانوا منظرين اجتماعيين واقتصاديين فى المقام الأول ، وأن التعاليم الأخلاقية التى جاؤوا بها تأتى فى الإطار الذى يخدم أهدافهم التى هى أوسع نطاقًا منها » ، ثم « النتيجة النهائية هى أننا كثيرًا ما نبدو مجبرين على الخيارين ـ النفعية والحدس ـ كأساس نبنى عليه مفهومنا وممارستنا للعدالة » .

هذا هو شأن الفلاسفة كما نعرف ، إنهم يهيئون لنا آفاقًا من المتعة الفكرية لا حدود لها ولا نهاية نستغرق فى المتعة والصفاء و «الحدس» ولكننا لا نخلص من هذا إلى « منفعة » عملية ، وهم صادقون مع أنفسهم ومعنا ، فهم لا يزعمون أبدًا أنهم حلالون للمشكلات ، بل على العكس ، وظيفتهم هى إثارتها وإشعارنا بها .

من هذا الغموض ـ بصفة خاصة ـ قد يمكننا أن نحط على أرض الواقع كالمظليين أو هواة « الغوص من السماء » ، داعين الله أن نقف على أقدامنا سالمين نوعًا بدلاً من : « ما العدالة ؟ » ، قد يكون أفضل أن نتساءل : « لماذا نريدها؟»، ثم ـ وهو الأدهى ـ « كيف نحققها ؟ » ، وهنا لابد أن نسأل أنفسنا ، « ومن نحن ؟» الذين نريد أن نحققها ؟ نحن الذين نضع الدساتير ، أو نطالب بها ، وليس الذين يأتون من غياهب الاضطرابات والقلاقل ، وأحيانا من أعماق الوحل وأغوار الجهالة .

• • •

مسئولية الداعية

من السلبيات :

أ ـ عدم مراعاة الأولويات .

ب ـ والإسراف فى مدح الإسلام . . حتى حسب الأعداء أنه من المستحيل التقاؤهم مع الإسلام فى أفقه هذا العالى . . مع أنه إنسانى النزعة .

ومن معانى ذلك : أن الخلل قد يكون عندنا نحن : فقد لا يستطيع الداعية أن يثبت جدارته لعجز أو تشويش . وقد يستطيع إثبات ذلك . . لكنه عاجز عن حُسن عرض قضيته .

فإن سلم : فأثبت وجوده فكان قدوة . . وأظهر حقائق الدعوة . . تمّ له ما أراد .

وهذا بعض ما يشير إليه قول النعمان بن مقرّن الآنف : والذى واصل حديثه مع قومه قائلاً : أما أنا . . فقد عرفته ، وسأغدو إليه إذا أصبحت : فمن شاء منكم أن يكون معى فليتجهز .

وتأسيسا على ذلك : فالداعية مطالب بما يلى :

أ ـ تأمل الخريطة العالمية .

ب ـ أين موقعنا من هذه الخريطة .

جـ ـ إذا كنا تقدمنا زمنًا . . فما هو السبب ؟ وكذلك : سبب تأخرنا .

د ـ الوعى بما يحدث من حولنا . . فرارًا من العزلة التى تهدم الجسور بيننا وبين بقية الشعوب . فلا يكون هناك تواصل . ولا جسور ممتدة .

• • •

لا ثأر فى الإسلام

وذلك واضح من قوله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام : ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩] .

ذلك بأنه : ﴿ لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] .

﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] .

[ولا يزول اليقين بالشك والحق لا يزول بالظن]

ولكن هذه القاعدة معرضة للضياع فى زمان تداخلت فيه الخطوط . واختلطت الخيوط .

يقول ابن القيم : « اعلم أن الشريعة : عدل كلها . وقسط كلها ورحمة كلها، وإن كل مسألة خرجت من العدل إلى الظلم . ومن القسط إلى الجور . ومن الرحمة إلى ضدها : فليست من الشريعة . وإن أدُخلت فيها بالتأويل » .

أما بعد :

فإلى : حرية الفكر ، لا حرية الكفر !

من الجلاد . . إلى الجدال . . إلى الأشواق . . لا الأشواك .

• • •

شهادة الواقع

مدخل :

ومالنا نذهب بعيداً . . والواقع شاهد برفض الإسلام فكرة العنف . . وكيف دخل الناس فيه أفواجا . . وتحت راية السلام . . وبلا إكراه .

• • •

بيعة العقبة ودروس في الدعوة .. بلا سلاح

بعد البيعة الأولى أرسل ﷺ « مصعب بن عمير » ، وكان من بركاته أن لم يبق بيت في المدينة إلا وفيه مسلم .

وفي الموسم التالي : جاؤوا سبعين رجلا وامرأتين . .

تعليق :

كان القوم يشكلون « قوة ضاربة » تغريهم كثرتهم بالعزلة وترك من جاء ليحج معهم ولكن الذي حدث هو :

١ ـ اندمجوا فيهم .

٢ ـ حددوا مكان اللقاء وهو : العقبة .

٣ ـ وحددوا الزمان أيضًا : جوف الليل .

٤ ـ ثم ساروا واحداً واحداً واثنين اثنين حتى لا يلفتوا النظر .

٥ ـ وقبل أن يتحركوا : تظاهروا بالنوم . . خداعا لمن معهم من المشركين.

٦ ـ فلما غط المشركون في النوم . . تسللوا كأنهم « القطا » يعود إلى عشه . . في هدوء .

٧ ـ جاء ﷺ ومعه عمه العباس ـ وكان مشركًا ـ فبين لهم مسئوليتهم وخطورة الوضع .

obeikandl.com

قال الوفد :ائذن لنا يا رسول الله أن نميل على قومنا بسلاحنا . . فرفض ﷺ . . مع حاجته إلى ذلك قائلا : **«لم نؤمر بقتال »** .

الداعية : كحّال : أم طبيب عيون ؟!

• • •

مسئولية الكلمة

ليس كل ما يُقرأ يقال . .

وليس كل ما يقال . . جاء وقته . .

وليس كل ما جاء وقته . . حضر أهله . . فقدر لكلمتك . . وقتها . . وأهلها . . كما تقدر لرجلك قبل الخطو موضعها . .

قال مالك : « خَرجَتْ منى أحاديث . . لوددت أنى ضُربتُ بكل حديث منها سوطا ولم أحدث بها » [(١)] .

وكان الشافعى يقول :

أأنثر دُرا بين سارحة النَّعم ؟!! أأنظم منثوراً لراعية الغنم ؟!!

قال ابن عباس لرجل سأله عن معنى آية : « وما يؤمنك أنى لو أخبرتك بتفسيرها كفرت » ؟

لا يريد الكفر بالله ـ ولكن يريد : جحدت ما أقول وأنكرته [(٢)] .

• • •

(١) تاريخ المذاهب (٣٨٠) لأبى زهرة .

(٢) إعلام الموقعين (٢/ ١٣٧) .